خطبة عيد الفطر المبارك لعام ١٤٢٩هـ

بعنوان

عودة إلى منهج السلف

كتبها

أبو عبد الله

وائل بن علي بن أحمد الأثري

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه والتـــابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً وبعد :

فأصل هذه الرسالة (عودة إلى منهج السلف) هي خطبة عيد الفطـــر المبـــارك لعـــام ١٤٢٩هـــ ، والتي قمت بإلقائها في قريتي (قلفاو)[1] بمحافظة سوهاج.

وقد قام بتسجيلها بعض الإخوة الأحباب ، ولما رأيت إعجاب الكثيرين بها وقبـــولهم لمضمونها ؛ قمت بتفريغها عسى الله أن ينفع بها .

ولما كان الكلام المتلقى من التقرير ليس كالكلام المكتوب بالتحرير ، قمت بتهذيبـــها وتعديل ما يلزم وعلقت عليها بما أراه نافعاً ومفيداً للقارئ حتى صارت بالشكل الذي تراه بين يديك .

والله أسأل أن ينفع بها ، كل المسلمين ويضع القبول لها ، إنه جواد كريم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه

أبو عبد الله

وائل بن على بن أحمد الأثري

alsalafy1433@hotmail.com

1 - قِلْفَاو بكسر القاف ، قال ياقوت الحموي (المتوفى عام ٦٢٦هـــ) في كتابه (معجم البلدان) (٤/ ٣٩١) : (قلفاو بكسر أوله وسكون ثانيه وفاء وآخره واو معربة صحيحة قرية بالصعيد على غربي النيل)اهـــ تقع هذه القرية بمحافظة سوهاج إحدى محافظات الصعيد بجمهورية مـــصر العربية .

عودة إلى منـهج السلف [٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحـــده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِه وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[٣] .

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَة وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[٤] .

---

[2] - هذا العنوان فيه الحث على العودة إلى منهج السلف والــذي معنــاه التمـــسك بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة وهم الصحابة – رضي الله عنهم – ومن سار علـــى نهجهم واقتفى أثرهم لأنهم شاهدوا نزول الوحي وكانوا أهل فصاحة وبيـــان فكـــانوا يسألون النبي – صلى الله عليه وسلم – عما أشكل عليهم فيجيبهم ؛ ففي التمـــسك بفهمهم عصمة من الزلل والوقوع في شباك أهل البدع والأهواء .

كذلك يقتضي منهج السلف عدم التعصب للرجال إذا أخطأوا وخالفوا الدليل فـــإن أقوال الرجال يحتج لها لا بها ، فالعالم السلفي متى أخطأ فإنه يرد عليه خطئه وتحفظ لـــه كرامته .

[3] - (سورة آل عمران آية : ١٠٢) .

[4] - (سورة النساء آية : ١) .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[5] . أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم - وشر الأمور محدثاها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد :

فتقبل الله منا ومنكم وكل عام وأنتم بخير ، هنيئاً لمن صام رمضان ، هنيئاً لمن امتثل قول الله تعالى ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾[6] .

هنيئاً لمن امتثل قول النبي – صلى الله عليه وسلم - :" من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه "[7] .

هنيئاً لمن امتثل قول النبي – صلى الله عليه وسلم - :" من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه "[8] .

هنيئاً لمن امتثل قول النبي – صلى الله عليه وسلم - :" من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه "[9] .

هنيئاً لكم ثم هنيئاً لكم ، **أيها الأحبة الكرام :**

---

5 - (سورة الأحزاب آية : ٧٠ – ٧١) .

6 - (سورة البقرة آية : ١٨٥) .

7 - متفق عليه : البخاري (١٩٠١) ، ومسلم (٧٦٠) .

8 - متفق عليه : البخاري (٢٠٠٩) ، ومسلم (٧٥٩) .

9 - متفق عليه : البخاري (١٩٠١) ، ومسلم (٧٦٠) .

إن المقارن لحـــال المسلمين اليوم وما كانوا عليه في القـــديم على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – يجد الفرق شاسعاً ، ويجد البون عظيماً ، حيث إن حال المسلمين اليوم لا يخفي على كل ذي عقل ؛ فهم من الذلة بمكان ، وما نالوا هذه الذلة إلا بسبب بعدهم عن شريعة ربهم سبحانه وتعالى .

ولقد كانوا في القديم على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – في عِزَّة وتمكين ؛ لأنهم كانوا بشريعة الله متمسكين .

فلذلك نجد أن الله تعالى قد سلط علينا أعداءنا بسبب بعدنا عن شريعته وقد سجل هذه الحقيقة النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال – والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع – :" يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها " فقال قائل: ومن قِلّةٍ نحن يومئذٍ ؟ قال :" بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ ، ولكنكم غثاءٌ كغثاء السيل ، وليترعنَّ اللّه من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفنَّ اللّه في قلوبكم الوهن " فقال قائل : يا رسول اللّه ، وما الوهن ؟ قال :" حـــبُّ الدنيا وكراهية الموت "[١٠] ، وفي رواية أخرى "وكراهيتكم القتال "[١١] أي : الجهاد في سبيل الله تعالى .

وقد روى الإمام أبو داود بسند صحيح من حديث ابن عمر– رضي الله عنهما– أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :" إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم

[10] - صحيح : رواه أبو داود (٤٢٩٧) ، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٥٨) وصحيح الجامع (٨١٨٣) .

[11] - رواها أحمد (٨٦٩٨) وقال الهيثمي في مجمع الزوائـــد (٧ / ٢٣٠) : (رواه أحمد والطبراني في الأوسط بنحوه وإسناد أحمد جيد .)اهـــ

أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا يترعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم "[١٢] .

فقد ذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – الداء ، وذكر لنا الدواء ألا وهو الرجوع إلى هذا الدين .

ألم تعلموا أن الله تعالى قـــد كتب النصر والتمكين لمن طبق شريعته ، وطبق أوامـــره واجتنب نواهيه وكذلك أوامر النبي – صلى الله عليه وسلم – ونواهيه .

ألـــم تسمعوا قول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[١٣]. فـــ

الله ينصر من يقوم بنصره   والله يخذل ناصر الشيطان

أيها الأحبة الكرام :

12 - صحيح : رواه أبو داود (٣٤٦٢) وصححه الألبـــاني في الـــصحيحة (١١) وصحيح الجامع (٤٢٣) .

13 - (سورة محمد آية : ٧) .

قال السعدي : (هذا أمر منه تعالى للمؤمنين ، أن ينصروا الله بالقيام بدينه ، والدعوة إليه ، وجهاد أعدائه ، والقصد بذلك وجه الله ، فإنهم إذا فعلوا ذلك ، نـــصرهم الله وثبت أقدامهم ، أي : يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات ، ويصبر أجسامهم على ذلك ، ويعينهم على أعدائهم ، فهذا وعد من كريم صادق الوعـــد ، أن الـــذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه ، وييسر له أسباب النـــصر، مـــن الثبـــات وغيره.)اهـــ

إن الناظر إلى حال المسلمين اليوم يجد أنهم في تحزبات وجماعات كثيرة ، يجد أن الاختلاف بينهم شديد وكثير ، وهذا إن دَلَّ فإنما يدل على جهل الناس بكتاب ربهم وسنة نبيهم – صلى الله عليه وسلم –[١٤] .

ألا وإن المسلمين يجب أن يكونوا جماعة واحدة ، ألا وإن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد حذرنا من تعدد الجماعات ، ألم تسمعوا قول النبي – صلى الله عليه وسلم – :" افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قالوا من هي يا رسول الله ؟ قال : من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي " .

وفي رواية أخرى قال " هي الجماعة "[١٥] .

وقد فسَّر الجماعة عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - فقال :" الجماعة هي الحق ولو كنت وحدك "[١٦] .

14 - وذلك لأن الله تعالى قال في كتابه الكريم ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ وقال أيضاً ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ وقال أيضاً ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ وقال أيضاً ﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ .

15 - صحيح : انظر صحيح الجامع (١٠٨٢) ، والصحيحة (٢٠٣ ، ١٤٩٢) .

16 - صحيح : رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٦٠) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح حاشية (١/ ٦١) وقال : (رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣ / ٣٢٢ / ٢) بسند صحيح عنه)اهـ

فلا يغرنك انفرادك في تطبيق الحق ، فإن انفرادك لعله دليل إخلاصك .
فالنبي – صلى الله عليه وسلم – قد حذَّرنا من هذه الجماعات وبيَّن لنا أن الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة .
وهذه الفرق قد وجدت من قديم إلى الآن ، ولا يظنن ظانٌ أن الفرق قد انتهت ، وأنه لا يوجد في أيامنا الآن جماعات وأحزاب ، فإن كان يظن أحدٌ ذلك فقد وَهِم ، وهيهات هيهات لهذا الفكر البعيد .
بل إن هذه الجماعات موجودة ، وما نحن عن جماعة الإخوان المسلمين ببعيد ؟
وما نحن عن جماعة التبليغ ببعيد ؟
وما نحن عن الصوفية ببعيد ؟[١٧]
وكلها فرق وأحزاب ضالة منحرفة عن هدى النبي – صلى الله عليه وسلم – فينبغي علينا كما ذكرت أن نحذر كل هذه الجماعات ، خاصة وأن علماءنا المعاصرين قد أفتوا بأن هؤلاء ضلال ومنحرفون[١٨] .
آهٍ لكم ، ثم آهٍ لكم ، لو تعلمون حقيقة هذه الجماعات ، وما هم فيها من مخالفات ومنكرات ، لعلمتم أنهم لكتاب الله مخالفين ، ولنبيه – صلى الله عليه وسلم – عاصين ، ولهدى سلفنا الصالح – رحمهم الله – مناقضين .
ألا وإن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد أخبر عن هؤلاء الدعاة الذين يغررون الناس ويصدونهم عن سبيل الله تعالى .

---

17 - وكذلك الشيعة الروافض وغيرهم ، فهذا من باب التنبيه بالقليل على الكثير .

18 - لقد أفتى سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز – رحمه الله – أن الإخوان والتبليغ من الثنتين والسبعين فرقة الهالكة ، وقد أفتى بذلك أيضاً غير واحد من أهل العلم كشيخنا العلامة صالح الفوزان وزيد المدخلي – حفظهما الله – وغيرهما .

فقد ذكر الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث حذيفة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال في صفة هؤلاء الدعاة الذين يزجون بالناس في نار جهنم – والعياذ بالله تعالى – :" دعـــاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ، قال حذيفة : قلت : يا رسول الله صفهم لنا ، قال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا "[١٩] .

وعندما تحدث النبي – صلى الله عليه وسلم – عن الخوارج فقال :" يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، يقتلون أهـــل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد "[٢٠] .

فهذا هو حكم النبي – صلى الله عليه وسلم – في هؤلاء .

---

19 - متفق عليه : البخاري (٣٤١١) ، ومسلم (١٨٤٧) ، وهذا سياق الحديث بتمامه واللفظ للبخاري : عن حذيفة – رضي الله عنه – قال :" كان الناس يـــسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يـــدركني ، فقلت : يا رسول الله، إنا كنا في الجاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم ، قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم ، وفيه دخن ، قلت وما دخنه ؟ قال : قوم يهدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر ، قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم ، دعاة إلى أبواب جهنم ، من أجـــابهم إليهـــا قذفوه فيها ، قلت : يا رسول الله ، صفهم لنا ؟ فقال : هم من جلدتنا ، ويتكلمـــون بألسنتنا ، قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمـــامهم ، قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة ، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك ".

20 - متفق عليه : البخاري (٣١٦٦) ، ومسلم (١٠٦٤) .

فينبغي علينا أن نَحْذَرَ من هذه الجماعات ، وأن نُحَذِّرَ من هذه الأفكار المتطرفة ، وأن نُحَذِّرَ – أيضاً – مما يفعلونه من مظاهرات ، ومن خروج على أولياء الأمور الحكام ، فكل هذا مخالف لعقيدة أهل السنة والجماعة .
ألا وإن النبي – صلى الله عليه وسلم – قـــد أمرنا باتباع سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى والاقتداء بهم[٢١] ، ألا وإنه قال :" خير الناس قرني ثم الذين يلونهـــم ثم الذين يلونهم "[٢٢] .

---

21 - وعلى رأس هؤلاء صحابته – رضي الله عنهم – ومنهم أبو بكر وعمر وهما أجل الصحابة بعد النبي – صلى الله عليه وسلم – فقد قال في شأنهما كما في سنن الترمذي (٣٦٦٢) وابن ماجه (٩٧) بسند صححه الألباني :" اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر ". وقال أيضاً كما في صحيح مسلم (٦٨١) :" إن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا " .

22 - متفق عليه : البخاري (٣٤٥١) ، ومسلم (٢٥٣٣) .
قال النووي في شرح مسلم تعليقاً على الحديث : (اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه صلى الله عليه وسلم والمراد أصحابه وقد قدمنا أن الصحيح الذي عليه الجمهور أن كل مسلم رأى النبي صلى الله عليه و سلم ولو ساعة فهو من أصحابه ، وروايـــة خير الناس على عمومها ، والمراد منه جملة القرن ولا يلزم منه تفضيل الصحابي علـــى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولا أفراد النساء على مريم وآسية وغيرهما بل المراد جملة القرن بالنسبة إلى كل قرن بجملته قال القاضي واختلفوا في المراد بالقرن هنا فقال المغيرة : قرنه أصحابه والذين يلونهم أبناؤهم والثالث أبناء أبنائهم . وقال شهر : قرنه ما بقيت عين رأته والثاني ما بقيت عين رأت من رآه ثم كذلك ، وقال غير واحد القرن كل طبقة مقترنين في وقت ، وقيل هو لأهل مدة بعث فيها نبي طالت مدته أم قصرت وذكر الحربي الاختلاف في قدره بالسنين من عشر سنين إلى مائة وعشرين ثم قال وليس

فينبغي علينا يا عباد الله أن نرجع ونعود عوداً حميداً إلى كتاب الله وإلى سنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – ، كما قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[٢٣] .

منه شيء واضح ورأى أن القرن كل أمة هلكت فلم يبق منها أحد ، وقال الحسن وغيره القرن عشر سنين ، وقتادة سبعون ، والنخعي أربعون ، وزرارة بن أبي أوفى مائة وعشرون ، وعبد الملك بن عمير مائة ، وقال بن الأعرابي هو الوقت ؛ هذا آخر نقل القاضي ، والصحيح أن قرنه صلى الله عليه وسلم الصحابة والثاني التابعون والثالث تابعوهم .)اهـ

تنبيه : لقد روي هذا الحديث بلفظ :" خير القرون قرني .." ولكنه ضعيف لا يصح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ، وممن نبَّه على ذلك الشيخ الألباني – رحمه الله تعالى – في مواطن من كتبه ودروسه .

23 - (سورة النساء آية : ٥٩) .

قال ابن جرير (٨/ ٤٩٥) : (يعني بذلك جل ثناؤه : يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ربكم فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه ، وأطيعوا رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم ، فإن في طاعتكم إياه لربكم طاعة ، وذلك أنكم تطيعونه لأمر الله إياكم بطاعته)اهـ

وقال السعدي : (أمر بطاعته وطاعة رسوله وذلك بامتثال أمرهما ، الواجب والمستحب، واجتناب نهيهما . وأمر بطاعة أولي الأمر وهم : الولاة على الناس ، من الأمراء والحكام والمفتين ، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم ، طاعة لله ورغبة فيما عنده ، ولكن بشرط ألا يأمروا بمعصية الله، فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . ولعل هذا هو السر في حذف الفعل

وقال الله تبارك وتعالى أيضاً ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾[٢٤] .

عند الأمر بطاعتهم وذكره مع طاعة الرسول ، فإن الرسول لا يأمر إلا بطاعة الله ، ومن يطعه فقد أطاع الله ، وأما أولو الأمر فشرط الأمر بطاعتهم أن لا يكون معصية . ثم أمر برد كل ما تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه إلى الله وإلى رسوله أي : إلى كتاب الله وسنة رسوله ؛ فإن فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافية ، إما بصريحهما أو عمومهما ؛ أو إيماء ، أو تنبيه ، أو مفهوم ، أو عموم معنى يقاس عليه ما أشبهه ، لأن كتاب الله وسنة رسوله عليهما بناء الدين ، ولا يستقيم الإيمان إلا بهما . فالرد إليهما شرط في الإيمان فلهذا قال : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ فدل ذلك على أن من لم يرد إليهما مسائل النزاع فليس بمؤمن حقيقة بل مؤمن بالطاغوت كما ذكر في الآية بعدها ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي : الرد إلى الله ورسوله ﴿ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ فإن حكم الله ورسوله أحسن الأحكام وأعدلها وأصلحها للناس في أمر دينهم ودنياهم وعاقبتهم .)اهـ

24 - (سورة النساء آية : ٨٠) . قال ابن جرير في تفسيره (٨/ ٥٦٢) : (وهذا إعذارٌ من الله إلى خلقه في نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، يقول الله تعالى ذكره لهم : من يطع منكم أيها الناس محمدًا فقد أطاعني بطاعته إياه ، فاسمعوا قوله وأطيعوا أمرَه ، فإنه مهما يأمركم به من شيء فمن أمري يأمركم ، وما نهاكم عنه من شيء فمن نهيي ، فلا يقولنَّ أحدكم :" إنما محمد بشر مثلنا يريد أن يتفضَّل علينا "!)اهـ

وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٦٣) : (يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأنه من أطاعه فقد أطاع الله ، ومن عصاه فقد عصى الله ، وما ذاك إلا لأنه ما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى .)اهـ

وقال السعدي (كل مَنْ أطاع رسول الله في أوامره ونواهيه ﴿ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ تعالى لكونه لا يأمر ولا ينهى إلا بأمر الله وشرعه ووحيه وتنزيله، وفي هذا عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الله أمر بطاعته مطلقاً ، فلولا أنه معصوم في كل ما يُبَلِّغ عن

يعنى : إن لم تطع الرسول لم تطع الله .
وقال تعالى ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[٢٥] .

الله لم يأمر بطاعته مطلقا ، ويمدح على ذلك . وهذا من الحقوق المشتركة فإن الحقوق ثلاثة :

حق لله تعالى لا يكون لأحد من الخلق ، وهو عبادة الله والرغبة إليه ، وتوابع ذلك .

وقسم مختص بالرسول ، وهو التعزير والتوقير والنصرة .

وقسم مشترك ، وهو الإيمان بالله ورسوله ومحبتهما وطاعتهما ، كما جمع الله بين هـذه الحقوق في قوله : ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ فمَنْ أطاع الرسول فقد أطاع الله، وله من الثواب والخير ما رتب على طاعة الله ﴿وَمَنْ تَوَلَّى ﴾ عن طاعة الله ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئًا ﴿ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ أي : تحفظ أعمالهم وأحوالهم ، بل أرسلناك مبلغاً ومبيناً وناصحاً ، وقد أديت وظيفتك ، ووجب أجرك على الله ، سواء اهتدوا أم لم يهتدوا .)اهـ

25 - (سورة النور آية : ٥٦) .

قال ابن جرير (١٩/ ٢١٠) : (وأطيعوا رسول ربكم فيما أمركم ونهاكم ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ يقول : كي يرحمكم ربكم ، فينجيكم من عذابه)اهـ

وقال ابن كثير (٦/ ٨١) : (يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين بإقام الصلاة ، وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، وإيتاء الزكاة ، وهي : الإحسان إلى المخلوقين ضعفائهم وفقرائهم ، وأن يكونوا في ذلك مطيعين للرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، أي : سالكين وراءه فيما به أمرهم ، وتاركين ما عنه زجرهم ، لعل الله يرحمهم بذلك . ولا شك أن من فعل ذلك أن الله سيرحمهم كما قال تعالى في الآية الأخرى : ﴿ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾)اهـ

وقال السعدي : (﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ ﴿ لَعَلَّكُمْ ﴾ حين تقومون بذلك ﴿ تُرْحَمُونَ ﴾ فمن

يعنى : إن لم تطع الرسول لا ترحم .

وقال تعالى ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[٢٦] .

أراد الرحمة ، فهذا طريقها ، ومن رجاها من دون إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وإطاعة الرسول ، فهو متمن كاذب ، وقد منته نفسه الأماني الكاذبة .)اهـ

26 - (سورة الحشر آية : ٧) .

قال ابن جرير (٢٣/ ٢٨٠) : (يقول تعالى ذكره: وما أعطاكم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم مما أفاء عليه من أهل القرى فخذوه ﴿ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ من الغلول وغيره من الأمور(فَانْتَهُوا ﴾ . وكان بعض أهل العلم يقول نحو قولنا في ذلك ، غير أنه كان يوجه معنى قوله : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ إلى ما آتاكم من الغنائم .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن عديّ ، عن عوف ، عن الحسن ، في قوله : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ قال : يؤتيهم الغنائم ويمنعهم الغلول . وقوله : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ يقول : وخافوا الله ، واحذروا عقابه في خلافكم على رسوله بالتقدّم على ما نهاكم عنه ، ومعصيتكم إياه ﴿ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ يقول : إن الله شديد عقابه لمن عاقبه من أهل معصيته لرسوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم .)اهـ

وقال البغوي : (﴿ وَمَا آتَاكُمُ ﴾ أعطاكم ﴿ آتَاكُمُ ﴾ من الفيء والغنيمة ﴿ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ الغلول وغيره ﴿ فَانْتَهُوا ﴾ وهذا نازل في أموال الفيء، وهو عام في كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ونهى عنه .)اهـ

وقال ابن كثير (٨/ ٦٧) : (أي : مهما أمركم به فافعلوه ، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه ، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر .)اهـ

وقال النبي – صلى الله عليه وسلم – والحديث في الصحيحين :" من أطـــاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله "[٢٧] .

فينبغي علينا أن نتمسك بكلام النبي – صلى الله عليه وسلم – ولا نترك كلامه – صلى الله عليه وسلم – لكلام أحد كائناً من كان ، فقد قرر أهل العلم أن كل قول إنما يحتج له لا به إلا قول الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى –: (كل قائل إنما يحتج لقوله لا به إلا الله ورسوله) [٢٨] .

قال السعدي : (وهذا شامل لأصول الدين وفروعه ، ظاهره وباطنه ، وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه ، ولا تحل مخالفته ، وأن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى ، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه ، ولا يجوز تقـــديم قول أحد على قوله .)اهـــ

27 - متفق عليه : صحيح البخاري (٢٧٩٧) وصحيح مسلم (١٨٣٥) .

28 - انظر كتاب (الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية) للبـــزار طبعـــة المكتب الإسلامي (ص : ٢٩) .

وقال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢ / ٢٢٧) : (ولهذا اتفق المسلمون على أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم)اهــــ

وقال أيضاً (٣ / ٣٤٧) : (فإن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رســـول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فهو الذي يجـــب تصديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل ما أمر ، وليست هذه المترلة لغيره من الأئمة ، بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – . فمن جعل شخصاً من الأشخاص غير رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من أحبه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة ، ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة كمـــا

ألا وإنه ينبغي علينا ألا نخالف سلفنا الصالح – رحمهم الله تعالى - ، قال تعالى ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾(٢٩) .

يوجد ذلك في الطوائف من اتباع أئمة في الكلام في الدين وغير ذلك كان من أهل البدع والضلال والتفرق . وبهذا يتبين أن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها واتباع لها : تصديقاً وعملاً وحباً وموالاة لمن والاها ومعاداة لمن عاداها ، الذين يروون المقالات المجملة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة ؛ فلا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه .)اهـ

29 - (سورة النساء آية : ١١٥) .

قال ابن جرير (٩/ ٢٠٤- ٢٠٥) : (يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ ﴾ ومن يباين الرسولَ محمدًا صلى الله عليه وسلم ، معاديًا له ، فيفارقه على العداوة له ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى ﴾ يعني : من بعد ما تبين له أنه رسول الله ، وأن ما جاء به من عند الله يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يقول : ويتبع طريقًا غير طريق أهل التصديق ويسلك منهاجًا غير منهاجهم وذلك هو الكفر بالله ، لأن الكفر بالله ورسوله غير سبيل المؤمنين وغير منهاجهم ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ﴾ يقول : نجعل ناصره ما استنصره واستعان به من الأوثان والأصنام ، وهي لا تغنيه ولا تدفع عنه من عذاب الله شيئًا ، ولا تنفعه .)اهـ

وقال ابن كثير (٢ / ٤١٢ - ٤١٣) : (أي : ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول – صلى الله عليه وسلم – فصار في شق والشرع في شق ، وذلك عن عَمْد منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح له .

وقوله : ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ هذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع ، وقد تكون لما أجمعت عليه الأمة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقًا ، فإنه قد ضُمِنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ ، تشريفًا لهم وتعظيما لنبيهم صلى الله عليه وسلم . وقد وردت في ذلك أحاديث صحيحة كثيرة ، قد ذكرنا منها طرفًا صالحًا في كتاب " أحاديث الأصول "، ومن العلماء من ادعى تواتر معناها ، والذي عول عليه الشافعي – رحمه الله – في الاحتجاج على كون الإجماع حجة تَحْرُم مخالفته هذه الآية الكريمة ، بعد التروي والفكر الطويل . وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها ، وإن كان بعضهم قد استشكل ذلك واستبعد الدلالة منها على ذلك . ولهذا توعد تعالى على ذلك بقوله : ﴿ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ أي : إذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك، بأن نحسنها في صدره ونزينها له - استدراجًا له - كما قال تعالى: ﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ . وقوله ﴿ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ . وجعل النار مصيره في الآخرة ، لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلا إلى النار يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ وقال : ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾)اهـ

وقال السعدي : (أي : ومن يخالف الرسول صلى الله عليه وسلم ويعانده فيما جاء به ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى ﴾ بالدلائل القرآنية والبراهين النبوية . ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وسبيلهم هو طريقهم في عقائدهم وأعمالهم ﴿ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ﴾ أي :

وقال تعالى ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[٣٠] .

نتركه وما اختاره لنفسه ، ونخذله فلا نوفقه للخير ، لكونه رأى الحق وعلمه وتركه ، فجزاؤه من الله عدلا أن يبقيه في ضلاله حائرا ويزداد ضلالا إلى ضلاله . كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ . ويدل مفهومها على أن من لم يشاقق الرسول ، ويتبع سبيل المؤمنين، بأن كان قصده وجه الله واتباع رسوله ولزوم جماعة المسلمين ، ثم صدر منه من الذنوب أو الهّم بها ما هو من مقتضيات النفوس ، وغلبات الطباع ، فإن الله لا يوليه نفسه وشيطانه بل يتداركه بلطفه ، ويمن عليه بحفظه ويعصمه من السوء ، كما قال تعالى عن يوسف عليه السلام : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ أي : بسبب إخلاصه صرفنا عنه السوء ، وكذلك كل مخلص ، كما يدل عليه عموم التعليل . وقوله : ﴿ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ﴾ أي : نعذبه فيها عذاباً عظيماً . ﴿ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ أي : مرجعاً له ومآلاً . وهذا الوعيد المرتب على الشقاق ومخالفة المؤمنين مراتب لا يحصيها إلا الله بحسب حالة الذنب صغراً وكبراً ، فمنه ما يخلد في النار ويوجب جميع الخذلان . ومنه ما هو دون ذلك .)اهـ

30 - (سورة التوبة آية : ١٠٠) .

قال ابن جرير (١٤/ ٤٣٤) : (يقول تعالى ذكره : والذين سبقوا الناس أولا إلى الإيمان بالله ورسوله ﴿ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ﴾ الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم، وفارقوا منازلهم وأوطانهم ﴿ وَالْأَنْصَارِ ﴾ الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه من أهل الكفر بالله ورسوله ﴿ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾ يقول : والذين

سَلَكوا سبيلهم في الإيمان بالله ورسوله، والهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام، طلبَ رضا الله ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾.)اهـ

وقال ابن كثير (٤/ ٢٠٣) : (فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان: فيا ويل من أبغضهم أو سَبَّهم أو أبغض أو سبَّ بعضهم ، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم ، أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة – رضي الله عنه – فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويُبغضونهم ويَسُبُّونهم ، عياذًا بالله من ذلك . وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة ، وقلوبهم منكوسة ، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن ، إذ يسبُّون من رضي الله عنهم ؟ وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمن رضي الله عنه ، ويسبون من سبه الله ورسوله ، ويوالون من يوالي الله ، ويعادون من يعادي الله ، وهم متبعون لا مبتدعون ، ويقتدون ولا يبتدون ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون .)اهـ

وقال السعدي : (السابقون هم الذين سبقوا هذه الأمة وبدروها إلى الإيمان والهجرة ، والجهاد ، وإقامة دين اللّه . ﴿ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ﴾ ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ . ﴿ وَ ﴾ من ﴿ الأنْصَارِ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ . ﴿ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾ بالاعتقادات والأقوال والأعمال ، فهؤلاء ، هم الذين سلموا من الذم ، وحصل لهم نهاية المدح ، وأفضل الكرامات من اللّه . ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ ورضاه تعالى أكبر من نعيم الجنة ﴿ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأنْهَارُ ﴾ الجارية التي تساق إلى سَقْيِ الجنان ، والحدائق الزاهية الزاهرة ، والرياض الناضرة . ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ لا

فأخبر الله تبارك وتعالى أنه رضي عنهم بسبب اتباعهم لمنهج السلف رحمهم الله تعالى من المهاجرين والأنصار .

فكن في أمورك كلها متمسكاً بالوحي لا بزخارف الهذيان
وتدبر القرآن إن رمت الهدى فالعلم في تدبر القـــــرآن

القول قـــال الله قـــال رســـوله قال الصحابة هم أولوا العرفان
ما القول نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين قـــول فـــلان

يبغون عنها حولا ولا يطلبون منها بدلا لأنهم مهما تمنوه ، أدركوه ، ومهمـــا أرادوه ، وجدوه . ﴿ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ الذي حصل لهم فيه ، كل محبوب للنفوس ، ولذة للأرواح ، ونعيم للقلوب ، وشهوة للأبدان ، واندفع عنهم كل محذور .)اهـ

وقال الشنقيطي (٢/ ٥٥٧- ٥٥٨) : (صرح تعالى في هذه الآية الكريمة بأن الذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار بإحسان ، أنهـــم داخلـــون معهـــم في رضوان الله تعالى ، والوعد بالخلود في الجنات والفوز العظيم ، وبين في مواضع أخر أن الذين اتبعوا السابقين بإحسان يشاركونهم في الخير كقوله جل وعـــلا : ﴿ وَآخَـــرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ الآية ، وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾ الآية ، وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَـــدُوا مَعَكُـــمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ ﴾ . ولا يخفى أنه تعالى صرح في هذه الآية الكريمة ، أنه قد رضي عـــن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، وهو دليل قرآني صريح في أن من يسبهم ويبغضهم ، أنه ضال مخالف لله جل وعلا ، حيث أبغض مـــن رضي الله عنه ؛ ولا شك أن بغض من رضي الله عنه مضادة له جل وعـــلا ، وتمـــرد وطغيان .)اهـ

فينبغي علينا يا عباد الله أن نتمسك بكلام الله تبارك وتعالى ، ونتمسك بما قد صح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ولا نحيد عن ذلك قيد أنملة ، ونحذر من مخالفته فلا نتعصب لأحد وإنما نتبع الدليل الصحيح ، وقد بيَّن أهل العلم – وعلى رأس هؤلاء الأئمة الأربعة – الحرص على الدليل ولزومه متى تبين لهم ذلك ، والبعد عن العصبية للرجال ، وقد تقلَّد كثير من الأئمة قول :" إذا صح الحديث فهو مذهبي " ولهم كلام جميل طيب في هـذا الباب[٣١] . وقد نظم كلامهم أحد الشعراء – رحمه الله تعالى – فقال :

31 - قال شيخ الإسلام في مجموع الفتـاوى (٢٠ / ٢١١- ٢١٢) : (وهـؤلاء الأئمة الأربعة رضي الله عنهم قد نهوا الناس عن تقليدهم في كل ما يقولونه وذلك هو الواجب عليهم ، فقال أبو حنيفة : هذا رأيي وهذا أحسن ما رأيت فمن جاء برأي خير منه قبلناه ، ولهذا لما اجتمع أفضل أصحابه أبو يوسف بمالك فسأله عن مسألة الصاع وصدقة الخضروات ومسألة الأجناس فأخبره مالك بما تدل عليه السنة في ذلك فقال رجعت إلى قولك يا أبا عبد الله ولو رأى صاحبي ما رأيت لرجع إلى قولك كما رجعت .

ومالك كان يقول : إنما أنا بشر أصيب وأخطىء فاعرضوا قولي على الكتاب والسنة أو كلاماً هذا معناه .

والشافعي كان يقول : إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط ، وإذا رأيت الحجة موضوعة على الطريق فهي قولي . وفى مختصر المزني مما ذكر أنه اختصره من مذهب الشافعي لمن أراد معرفة مذهبه قال مع إعلامه نهيه وعن تقليده وتقليد غيره من العلماء.

وقـــول أعـــلام الهـــدى لا يعمـــلُ بِقَولنـــــا بـــــدون نـــــصّ يُقبَـــــلُ

فيـــه دليـــل الأخـــذ بالحـــديثِ وذاك في القـــــديم والحـــــــديثِ

قـــال أبـــو حنيفـــة النعمـــان لا ينبغـــي لِمَـــن لـــه إســـلامُ

أخـــذاً بـــأقوالي حتَّـــى تُعرَضـــا علـــى الكتـــاب والحـــديثِ المرتـــضَى

ومالـــك إمـــام دار الهِجـــرةِ قـــال وقـــد أشـــار نحـــو الحُجـــرةِ

كـــلٌّ كـــلام منـــه ذو قَبُـــولِ و منـــه مـــردودٌ سِـــوى الرسُـــولِ

والـــشَّافعيُّ قـــال إن رأيـــتُمُ قـــولي مخالفًـــا لمـــا رويـــتمُ

من الحـديثِ فاضـربُوا الجـدارا بقـــولِيَ المخـــالف الأخبـــارا

وأحمـــد قـــال لهـــم لا تكتبـــوا مـــا قلتُـــه بـــل أصـــل ذاك فـــاطلبوا

والإمام أحمد كان يقول : لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكـاً ولا الـشافعي ولا الثـوري وتعلموا كما تعلمنا . وكان يقول : من قلة علم الرجل أن يقلد دينه الرجال . وقال : لا تقلد دينك الرجال فإنهم لن يسلموا من أن يغلطوا .)اهـ
ولمطالعة المزيد من كلامهم يراجع كلام الأئمة الأربعة – رحمهم الله – في مقدمة كتاب (صفة الصلاة) للشيخ محمد ناصر الدين الألباني .

فـــاسمع مقالـــة الهُــداة الأربعــةْ واعمــــل بهــا فــإن فيهــا منفعــةْ

لقمعِهــــا لكــــلِّ ذي تعــــصُّبِ والمنـــــصفون يكتفـــــون بـــــالنبِي

صلَّى الله عليه وسلَّم

فينبغي علينا ألا نترك كلام النبي – صلى الله عليه وسلم – لكلام أحد كائناً من كان .

نسأل الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا ، اللهم اهدنا فيمن هـــديت ، وعافنا في من عافيت ، وتولنا في من توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا شر ما قضيت ، فإنك تقضى ولا يقضى عليك ، وإنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، اللهم انصر الإسلام والمسلمين ، واعلُ بفضلك كلمتي الحق والدين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، رب آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وعيدكم عيد مبارك

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته